

## محاضرات في النص الأدبي القديم/نثر

المستوى: سنة أولى ليسانس، المجموعة الثانية

الأستاذة: وهيبة لماني

المحاضرة الأولى: النثر العربي القديم، تاريخيا وجغرافيا

### ١-تعريف النثر:

لم يعن النقاد القدماء بإعطاء مفهوم دقيق للنثر الفني على غرار تعريفهم للشعر الذي تسم بالضبط والإحكام في حين أن ما ورد في النثر لا يتعدى التقسيم والتصنيف فهو باعتبار الشكل الأدبي أو الفنون الأدبية ينقسم إلى خطب ورسائل وهو باعتبار اللفظ وصورة التعبير يتفرع إلى نثر مرسل ومزدوج وسجع، والملاحظ أنهم ألحوا في الفصل بين هذه الفروع الثلاثة فخصصوا لكل من المزدوج والسجع فصلا على حدة في كتبهم حتى كأنهما ليسا من النثر في شيء.

أغفل النقاد القدماء تبعا لمفهومهم هذا الضيق المحدود ونظرتهم البسيطة السطحية فنا من الأدب المنتثر غزير المادة بالغ الأهمية بعيد الأثر قد شغف به العوام والخواص على السواء، وهو القصص بجميع ألوانه من حكايات وأخبار ونوادر وملح وفكاهات كما أنهم ألغوا الحكم والأمثال، مع اعترافهم ببلاغة المثل ومكانه في البيان العربي.

ومن النقاد الذين أنصفوا النثر من الناحية النظرية والتطبيقية الجاحظ والتوحيدي، فالجاحظ، عرض لفضيلة النثر في صفات عدة من كتاب الحيوان وأبرز ما اختص به من ميزة حضارية أهله لأن يكون همزة وصل بين الشعوب على مر العصور وعاملاً فعلاً لتقدم البشرية، كما خصص جانبا كبيرا من كتاب "البيان والتبيين" لبلاغة النثر مستشهداً عليها بمختلف الألوان والفنون النثرية المتداولة في عصره من الخطابة إلى الرسالة إلى الحكايات والأخبار والنوادر والملح والأمثال والحكم والمجادلات والوصايا والأدعية..... إلخ، فأقام بذلك الدليل على أنه يعتبر النثر الفني ندا للشعر كفؤا.

والجدير بالذكر أن حديث الجاحظ عن النثر في مقدمة كتاب "الحيوان" إنما هو حديث عن النثر عامة لا عن النثر خاصة، كما أن الجاحظ لم يقدم القصص الوارد في كتاب البيان والتبيين بصفته قصصاً، أعني بصفته فناً مستقلاً قائماً بنفسه بل بما فيه من بلاغة القول وقوة البديهة أو حلاوة النكتة أو شرف المغزى، أما التوحيدي فامتيازته يتمثل في كونه أول من اهتدى إلى حقيقة النثر الفني وحل مقوماته الجوهرية تحليلاً يتصف على إيجازه بالدقة والعمق.

## ٢- موضوعات النثر الفني :

ونعني بالنثر الفني ذلك النثر الذي يدخل في باب الأدب الحق . وهو النثر الذي يوليه صاحبه عناية خاصة من حيث الصياغة والأداء الجميل ، فيكون له بذلك أثر في نفوس المتلقين أو السامعين . وهو بذلك مختلف عن النثر العادي المستعمل في الأحاديث التي يتخاطب بها الناس . من موضوعات النثر الفني في الجاهلية الوصايا ، الخطابة ، الأمثال ، سجع الكهان ....إلخ

أ- **الوصايا** : يُقال في اللغة أوصى الرجل ووصّاه أي عهد إليه . ويمكن أن تعد الوصية خلاصة فكرية يكتسبها المرء من تجاربه في بيئته ومجتمعه ، وهي تشبه الحكمة والمثل من هذه الناحية ، بل قد تتكون منهما ، ومن وصايا الجاهلية وصية ذي الإصبع العدوانى ، حوثان بن الحارث ....إلخ

ب- **الخطابة** : توافرت للخطابة أسبابها ودواعيها في العصر الجاهلي ، ولمعت أسماء عديدة في هذا النوع من النثر قس بن ساعدة الإيادي ، هانىء بن قبيصة الشيباني ....إلخ

ج- **الأمثال** : أهم ما تميزت به الأمثال الجاهلية أنها موجزة محكمة الصياغة ، وقد تعدد إلى ضرب من التنغيم الآتي من السجع ، وأنها كثيرا ما تُجسم المعنى حين تعدد إلى ضرب من الأخيلة

د- **سجع الكهان** : يلحظ أن أكثر ما وصل إلينا من سجع الكهان والحكماء في الجاهلية مكون من جمل قصيرة حافلة بالمعاني . وقد يعمدون إلى ألفاظ وتعبيرات مبهمة يمكن تأويلها على غير وجه .

